محاضرة ماتعة:

السُّنَّةِ وَمَا يضادها

لفَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

السُّنَّةِ وَمَا يضادها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بَعْدُ؛ فإن خيرُ الحديث كتاب الله تَعَالَىٰ، وخير الهدي هدي محمدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النَّار.

ثم يا معاشر المؤمنين والمؤمنات إن الله عزَّ وجل قد رحم العالمين ببعثة سيد المرسلين، ببعثة أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين-، قال ربنا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]، وامتن الله على المؤمنين برسالة هذا الرسول الكريم، وبما اتصف به -صلى الله عليه وسلم- فقال ربنا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]، لقد جاءكم رسول من أنفسكم نعم والله إنه من أنفسنا وأنه أنفسنا -صلى الله عليه وسلم-، إنه بشري من البشر اصطفاه الله وشرَّفه بالرسالة، وإنه العبد الذي اصطفاه الله بعد أن اصطفى قومه، فهو المصطفى المختار -صلى الله عليه وسلم-.

من وصفه -صلى الله عليه وسلم- أنه يشق عليه ما يشق على أمته -صلى الله عليه وسلم-، فلم يأتنا -صلى الله عليه وسلم- إلا بالرحمة، لم يأتنا -صلى الله عليه وسلم- إلا باليسر، كان -صلى الله عليه وسلم- شفيقًا بأمته حتى أنه كان يترك ما يحب شفقة ورحمة بأمته، كان يقول: «لولا أنْ أشُقَّ علىٰ المسلِمين ما قعَدْتُ خَلفَ سَريَّةٍ»، «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لَأَمَرْتهمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»، حريص عليكم، حريص على خيركم، حريص على أن تكونوا من أهل الجنة، بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وامتن الله -عزَّ وجل- به -صلى الله عليه وسلم- على المؤمنين بما آتاه، وبأثره -صلى الله عليه وسلم- على أمته، قال الله -عزَّ وجل-: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[آل عمران:١٦٤].

امتن الله عليكم معاشر المؤمنين بإرسال رسوله -صلى الله عليه وسلم- وبأثره عليكم حيث نقلكم من الضلال إلى الهدى، ومن الجهل إلى العلم، ومن العمى إلى البصر والبصيرة بما آتاه الله -سبحانه وتعالى-، إنه رسول علمنا كتاب الله -عزَّ وجل-، وعلمنا الحكمة.

والحكمة هنا قال بعض السلف هي: السنة.

وقال بعض السلف هي: معرفة الدين.

والأمران متقاربان؛ بل إن تفسير الحكمة بمعرفة الدين يدل دلالة بينة على أنه لا يمكن لأحد أن يعرف الدين إلا بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[آل عمران:١٦٤]، قال العلماء: هذا يدل على أن الهداية كلها في كتاب الله، وفي سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فمن عرف هدى الكتاب والسنة، واتبع هدى الكتاب والسنة، وثبت على هدى الكتاب والسنة فهو المهتدي، ومن خالف ذلك فهو في ضلال مبين.

وقال الله -عزَّ وجل-: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٥١].

نعم والله إن الله -عزَّ وجل- قد آتى نبينا -صلى الله عليه وسلم- الكتاب وهو القرآن والحكمة

وهي سنته -صلى الله عليه وسلم-، وفيها الخير، وفيها الهدى، وفيها مجامع كل خير في الدنيا والآخرة.

الكتاب أنزله الله -عزَّ وجل- على نبينا -صلى الله عليه وسلم- والسنة أنزلها الله على نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

فالكل وحي من الله؛ لكن القرآن وحي متلو معجز، والسنة وحي غير متلو ولا معجز، قال الله -عزَّ وجل-:﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء:١١٣]، فعلمنا من هذه الآية العظيمة أن سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- منزلة عليه -صلى الله عليه وسلم- من ربنا.

وقال -سبحانه-: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾[البقرة:٢٣١]، نعم والله إن الحكمة التي هي السنة أنزلها الله -عزَّ وجل- على رسولنا -صلى الله عليه وسلم- وأنعم بها علينا، وجعل فيها الموعظة، وجعل فيها العلم، وجعل فيها البصيرة، وجعل فيها بيان الدين، قال الله -عزَّ وجل-: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤].

إن تدبر القرآن إنما يكون بمعرفة السنة، إن التفكر في القرآن إنما يكون بمعرفة السنة، إن التفكر النافع هو ما كان بمصاحبة السنة، السنة كلها خير، ونطق حبيبنا وسيدنا وإمامنا وقدوتنا ونبينا -صلى الله عليه وسلم- وفعله وتقريره كله سنة وحكمة، ووحي من ربنا -سبحانه وتعالى-، قال ربنا -سبحانه-: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[النجم:١] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[النجم:٢] ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[النجم:٣] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:٤].

جاء عن المقدام بن معدي كرب -رضي الله عنه- عن رسولنا -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «ألا إني أُوتيتُ الكِتَاب ومثلُه معه»، رواه أبو داوود، وصححه الألباني.

وعند أحمد: «ألا إني أُوتيتُ الكِتاب ومثلُه معه، ألا إني أُوتيتُ القرآنَ ومثلُه معه».

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أوتي الكتاب الذي هو القرآن، وأوتي مثله معه، وما ذاكم إلا سنة

رسولنا -صلى الله عليه وسلم-، فالسنة إنما هي من الله، وهي مثل القرآن، فالقرآن مثل السنة وحي من ربنا -سبحانه وتعالى-.

قال البغوي -رحمه الله-: في هذا الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان حجة بنفسه، وجعل الله -عزَّ وجل- نبينا -صلى الله عليه وسلم- للمؤمنين أسوة وقدوة، قال ربنا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:٢١]، فأفلح وأنجح من جعل محمدًا -صلى الله عليه وسلم- قدوته، ولا اقتداء به إلا بسنته -صلى الله عليه وسلم-. وأمر الله -عزَّ وجل- بطاعته وحذَّر من معصيته ومخالفته، فقال -سبحانه-: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا﴾[الأحزاب:٣٦]، فما كان لمؤمن أن يقف حائرًا إذا جاءه الأمر من كتاب الله أو جاءه الأمر في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ما كان له أن يقف مختارًا؛ بل إن شأنه هو التسليم لأمر الله، والتسليم لأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فإن أطاع كان المفلح الفائز، أما إن عصى -والعياذ بالله- فذاك الضلال المبين.

وقال الله -عزَّ وجل-: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران:٣٢].

وقال -سبحانه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩].

معاشر المؤمنين إن العاقبة الحسنة وإن الخير كله في أن نطيع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، نطيع الله -عزَّ وجل-، ونطيع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا مقتضى الإيمان بالله وباليوم الآخر، أما من عصى فإنه يبعد نفسه عن الخير والهدى، ويغمس نفسه في الضلال -والعياذ بالله-، قال ربنا -سبحانه-: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[النساء:١٣] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[النساء:١٤].

وقال -سبحانه-: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الحشر:٧].

إن من معالي التقوى أن يأخذ العبد بكل منا جاء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ بل والله يا عبد الله لن تكون محققًا للإيمان كما أراد الله إلا إذا كنت منشرح الصدر بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، مسلمًا لأحكام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال ربنا -سبحانه وتعالى-:﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥].

حذرنا ربنا من أن نخالف سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أن نخالف أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣].

جاء رجل إلى إمام المدينة في زمنه، إلى الإمام مالك -رحمه الله عزَّ وجل- فقال: يا أبا عبدالله إني أريد أن أحرم من عند القبر، فقال مالك -رحمه الله-: لا تفعل، فإني أخاف عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة وما هي إلا خطوات أزيدها؟ قال: وأي فتنة أعظم من أن تظن أنك سبقت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى خير تزيده، الخير كله والسلامة كلها في لزوم أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، في لزوم غرز رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «كلُّ أُمَّتِه يدخلون الجنة إلا مَن أَبَىٰ»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: « مَن أطاعني دخلَ الجنَّةَ ومن عَصَانِي فَقَد أَبَىٰ»، رواه البخاري في الصحيح.

وعن جابر بن عبدالله -رضي الله عنه وعن أبيه- قال: «جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إلىٰ النبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ وهو نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، والقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقالوا: إنَّ لِصَاحِبِكُمْ هذا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا له مَثَلًا، فَقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، والقَلْبَ

يَقْظَانُ، فَقالوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ دَارًا، وجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وبَعَثَ دَاعِيًا، فمَن أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، ومَن لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ولَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقالوا: أَوِّلُوهَا له يَفْقَهْهَا، فَقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، والقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقالوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، والدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ، فمَن أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ فقَدْ أَطَاعَ اللهَ، ومَن عَصَىٰ مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ فقَدْ عَصَىٰ اللهَ، ومُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ فَرْقٌ بيْنَ النَّاسِ»، أي: أن لاتباعه فرَّق بين المؤمنين والكافرين، فمن اتبعه كان من المؤمنين، ومن عصاه وأبى أن يتبعه كان من الكافرين، رواه البخاري في الصحيح.

إذا كان ذلك كذلك فغن السنة التي أوتيها نبينا -صلى الله عليه وسلم- لها معان عند أهل العلم، **فإذا أطلق العلماء السنة فإن لذلك معانٍ:**

المعنىٰ الأول: السنة النقلية التي هي حجة في الدين كله، في أصول الدين وفروعه، فمتى ما ثبت الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان حجة، أجمع على ذلك سلف الأمة إجماعًا يقينيًا.

فالسنة بهذا المعنىٰ عند المحدثين هي: ما نُقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خَلْقي أو وصف خُلُقي، المحدثون عندهم السنة عامة، كل ما نُقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- سواء كان قولًا أو فعلًا أو تقريرًا أو وصفًا لخلقته -صلى الله عليه وسلم- أو وصفًا لأخلاقه -صلى الله عليه وسلم- فهو سنة عند المحدثين.

وأما عند الأصوليين: فالسنة ما نُقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير، وذلك؛ لأن الأصوليين إنما يبحثون عن السنة التي يحتج بها على الأحكام.

والسنة التي يحتج بها على الأحكام إما قول منه -صلى الله عليه وسلم- و إما فعل منه -صلى الله عليه وسلم-، وإما ترك، وهذه السنة النقلية قيض الله لها رجالًا أعلامًا نقلوها، ورجالًا أعلامًا صانوها، ورجالًا أعلامًا في الكتب والمسانيد دونوها، فحفظت للأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قيَّض الله لهذه السنة نقلة ثقاة أمناء، قنقلها الصحابة -رضوان الله عليهم- إلى من بعدهم من الرواة، وقيَّض الله لها رجالًا نقادًا صانوها، فصانوا الأسانيد، وبينوا أحوال الرواة، وصانوا المتون،

وبينوا الأصـيل والدخيل، وبينوا الصـحيح والضـعيف، ثم قيَّض الله لها رجالًا أعلامًا دونوها في الكتب، فصارت مسندة من زمن الكتابة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فحفظت حفظًا عظيمًا.

ويضاد السنة بهذا المعنى: الزعم أنه لا يعمل بها، ولا يحتج بها، فيكتفى بالقرآن، وقد حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من هذه الطريقة الكفرية الخبيثة، وهذه المقولة الساقطة الدنيئة، فعن أبي رافع -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا أُلْفِيَنَّ أحدَكُمْ متكئًا علىٰ أريكتِهِ يأتيهِ أمرٌ مما أمرتُ بهِ أو نهيتُ عنهُ فيقولُ: لا أدري. ما وجدنَا في كتابِ اللهِ اتبعناهُ وإلا فَلَا»، رواه أحمد وأبو داود، وصححه الترمذي، ورواه ابن ماجه والطحاوي، وقال الألباني سنده صحيح.

وعن المقدام بن معد كرب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوه، وإنما حرم رسول الله كما حرم الله»، قال ذلك -صلى الله عليه وسلم-، رواه أبو داود والرتمذي والحاكم وصححه، ورواه الإمام أحمد، وقال الألباني بسند صحيح: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- حذر من أقوام يعميهم الشبع، ويعميهم الغرور، فيقول أحدهم بيننا وبينكم القرآن، لا يقيمون للسنة وزنًا، ولا يلتفتون إليها، ولا يعظمونها، ولا يبنون عليها حكمًا، حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من أولئك الأقوام.

قال ابن بطة -رحمه الله عزَّ وجلَّ-: وَلْيَعْلَمِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ أَنَّ قَوْمًا يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الشَّرِيعَةِ وَدُرُوسَ آثَارِ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ، فَهُمْ يُمَوِّهُونَ عَلَىٰ مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ وَضَعُفَ قَلْبُهُ بِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، وَهُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ يَهْرُبُونَ وَعَنْهُ يُدْبِرُونَ، وَلَهُ يُخَالِفُونَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا سُنَّةً رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَوَاهَا الْأَكَابِرُ عَنِ الْأَكَابِرِ وَنَقَلَهَا أَهْلُ الْعَدَالَةِ وَالْأَمَانَةِ، وَمَنْ كَانَ مَوْضِعَ الْقُدْوَةِ وَالْأَمَانَةِ وَأَجْمَعَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ صِحَّتِهَا أَوْ حَكَمَ فُقَهَاؤُهُمْ بِهَا، عَارَضُوا تِلْكَ السُّنَّةَ بِالْخِلَافِ عَلَيْهَا وَتَلَقَّوْهَا بِالرَّدِّ لَهَا، وَقَالُوا لِمَنْ رَوَاهَا عِنْدَهُمْ: تَجِدُ هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ؟ وَهَلْ نَزَلَ هَذَا فِي الْقُرْآنِ؟ وَأْتُونِي بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ حَتَّىٰ أُصَدِّقَ بِهَذَا، فَاعْلَمُوا

رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ قَائِلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ إِنَّمَا تَرَقَّى عَنْ صَبُوحٍ وَيُسْرٍ خَبِيثًا فِي إِرْبِغَاءَ يَتَحَلَّىٰ بِحِلْيَةِ الْمُسْلِمِينَ وَيُضْمِرُ عَلَىٰ طَوِيَّةِ الْمُلْحِدِينَ، يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ بِدَعْوَاهُ وَيَجْحَدُهُ بِسِرِّهِ وَهَوَاهُ، فَسَبِيلُ الْعَاقِلِ الْعَالِمِ إِذَا سَمِعَ قَائِلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَا جَاهِلًا فِي الْحَقِّ، خَبِيثًا فِي الْبَاطِنِ، يَا مَنْ خُطِّئَ بِهِ طَرِيقُ الرَّشَادِ وَسَبِيلُ أَهْلِ السَّدَادِ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِكِتَابِ اللهِ، وَأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّ مَا أَمَرَكَ اللهُ بِهِ وَمَا نَهَاكَ عَنْهُ فَرْضٌ عَلَيْكَ قَبُولُهُ، فَإِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ وَقَبُولِ سُنَّتِهِ.

إذًا إما أنك كاذب في دعواك، وإما أن ترجع عن دعواك.

ويضادها -أيضًا-: اتباع الهوى والرأي مع ثبوتها والعلم بها.

وقد أجمع الأئمة على أنه لا يجوز لعبد أن يترك سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لرأي أحد كائنًا من كان:

قال الإمام الشافعي -رحمه الله عزَّ وجلَّ-: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس كائن من كان.

وقال ابن عابدين الحنفي: صح عن الإمام، أي: صح عن أبي جنيفة -رحمه الله- أنه قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

وذكر ابن عبدالبر عن الإمام مالك -رحمه الله- أنه قال: إنما أن بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.

وقال ابن حبان في صحيحه: قال ابن حاتم سمعت ابن خزيمة يقول يقول سمعت المزني يقول سمعت الشافعي يقول: إذا صح لكم الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخذوا به، ودعوا قولي.

وأورد ابن الجوزي -رحمه الله- عن الإمام أحمد -رحمه الله- قوله: من رَدَّ حديثَ رَسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- فهو على شَفَا هَلَكَةٍ.

فإياك يا عبد الله، إياك ثم إياك أن تثبت عندك سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم تتركها وتدفعها لقول أحد من الناس كائنًا من كان.

وأما المعنىٰ الثاني: فهي السنة التي هي حكم من الأحكام التكليفية.

ويعرفها العالماء بأنها: ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه.

هذا عند العلماء: يسمى بالسنة، ويسمى بالمستحب، ويسمى بالفضيلة، ويسمى بالنافلة، ويسمى بالطاعة.

وبعض أهل العلم يخص السنة بما ثبت فعله عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو من قوله -صلى الله عليه وسلم-، ولم يكن فرضًا، وبجعلوا المستحب دون ذلك. وهذه السنة بهذا المعنى يقابلها خلاف الأولى، ويقابلها المكروه، إذ أن خلاف الأولى والمكروه يجمعهما أن العلماء يقولون: أن خلاف الأولى أو المكروه: ما يثاب على تركه، ولا يعاقب على فعله. فبعض أهل العلم يرى أن المكروه يقابل السنة، وبعض أهل العلم يى أن الذي يقابل السنة هو خلاف الأولى، وأن المكروه أشد من خلاف الأولى؛ لأن المكروه: ما نُهي عنه نهيًا غير جازم.

وأما خلاف الأولىٰ فهو: خلاف السنة، أي: -مثلًا- ثبت بالأدلة أن السنة هي القبض حال القيام للقراءة، فالسدل هو خلاف السنة، فبعض أهل العلم يقول السدل خلاف الأولى، وبعض أهل العلم يقول السدل مكروه، والأظهر والله أعلم الأول، أن السدل خلاف الأولى، فإذا ثبت الشيء من فعل النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو من قوله -صلى الله عليه وسلم- من غيرعزيمة، فإنه سنة، ويقابله خلاف الأولى، من ترك سنة فقد وقع في خلاف الأولى، وبعض أهل العلم يرى أنه وقع في المكروه.

والنوع الثالث من أنواع السنة: السنة العملية.

وهي: هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في العبادات.

ولا يقبل الله العبادة إلا إذا كانت على سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقد أمرنا النبي -صلى الله عليه وسلم- بلزوم السنة، ونهانا عن المحدثات التي تقابل السنة، فعن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: «وعظَنا رسولُ اللهِ صلَّىٰ اللهُ عليْهِ وسلَّمَ يومًا بعدَ صلاةِ الغداةِ موعِظةً بليغةً ذرِفَت منْها العيونُ ووجِلَت منْها القلوبُ فقالَ رجلٌ إنَّ هذِهِ موعظةُ مودِّعٍ فماذا تعْهدُ إلينا يا رسولَ اللهِ قالَ أوصيكم بتقوىٰ اللهِ والسَّمعِ والطَّاعةِ وإن عبدٌ حبشيٌّ فإنَّهُ من يعِش منْكم يرَ اختلافًا كثيرًا وإيَّاكم ومحدَثاتِ الأمورِ فإنَّها ضَلالةٌ فمن أدرَكَ ذلِكَ منْكم فعليْهِ بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ

الرَّاشـــدينَ المَهديِّينَ عضُّـــوا عليْها بالنَّواجذِ»، رواه بهذا اللفظ الترمذي، وصـــححه الألباني.

وعند أبي داود عن العرباض -رضي الله عنه- قال: « صلَّىٰ بنا رسولُ اللهِ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ذاتَ يومٍ، ثم أقبَلَ علينا، فوَعَظَنا مَوعِظةً بَليغةً ذَرَفَتْ منها العُيونُ، ووَجِلَتْ منها القُلوبُ، فقال قائِلٌ: يا رسولَ اللهِ، كأنَّ هذه مَوعِظةُ مُودِّعٍ، فماذا تَعهَدُ إلينا؟ فقال: أُوصيكُم بتَقْوىٰ اللهِ، والسَّمْعِ والطَّاعةِ، وإن عبدًا حبشـيًّا فإنَّهُ من يعِش منْكم بعدي فسـيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليْكم بِسُـنَّتي وسـنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ المَهديِّينَ تمسكوا بها وعضُّوا عليْها بالنَّواجذِ، وإيَّاكم ومحدَثاتِ الأمورِ فإنَّ كُلَّ مُحْدَثة بِدعَة، وَكُل بِدعة ضَلالة»،

وعند أحمد قال: «أُوصيكم بتقوىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ والسمعِ والطاعةِ وإنْ كَان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعِشْ منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدِين المهدِيِّينَ تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذِ وإيَّاكم ومُحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كُلَّ مُحْدَثة بِدعَة، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ».

فالسنة هي النجاة، السنة هي الطريق المسلوك إلى الجنة.

ويضاد هذه السنة العملية: البدعة.

والبدعة: كل أمر محدث في الدين، كل عبادة يتقرب بها إلى الله لم ترد من طريق رســول الله -صــلى الله عليه وســلم-، فعن عائشــة -رضي الله عنها- قالت: قال رســول الله -صــلى الله عليه وسلم-: «مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ»، متفق عليه.

وعنها -رضي الله عنها- أن رســول الله -صــلى الله عليه وســلم- قال: «من عَمِلَ عَمَلًا ليس عليه أَمْرُنا، فهو رَدٌّ»، رواه مسلم موصولًا، ورواه البخاري تعليقًا مجزومًا به.

فإياك يا عبد الله والبدع، إياك والمحدثات، ولتسعك سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

والمعنىٰ الرابع: جرى في لسان السلف إطلاق السنة على العقيدة المروية بالأسانيد إلى رسول الله -صــلى الله عليه وســلم-، أو إلى الصــحابة، أو إلى الأئمة المقتدى بهم.

ويضادها: العقائد التي تنسب إلى رجال من أهل الإسلام، وتنقطع دون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والصحابة، كالأشعرية، والماتريدية، وغيرهما من العقائد.

أيها الأحبة إن العقيدة السلفية تنتهي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إن العقيدة السلفية تسند إلى صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أما كل عقيدة تخالف العقيدة السلفية فلا يستطيع أصحابها أن يرتفعوا بها إلى زمن التابعين فضلًا عن زمن الصحابة -رضوان الله عليهم-، فضلًا عن زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ثم أيها الفضلاء إن هناك مصطلحًا عظيمًا يدور على ألسنة العلماء ألا وهو مصطلح أهل السنة، وأهل السنة هم الذين عظموا سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولزموا سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولزموا أصول السنة التي قررها وكررها وبينها أكابر أهل السنة عن متقدمي أهل السنة، وأخذًا من كتاب الله ومن سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فمن لزم السنة، ولزم هذه الأصول، وعظمها، وعمل بها، فهو من أهل السنة.

ويقابل هذا المصطلح العظيم: مصطلح أهل الأهواء والبدع: فكل من لم يعظم سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهو من أهل الأهواء والبدع، وكل من خالف أصلًا من أصول أهل السنة مع العلم بذلك، وبيان ذلك له، ومع ذلك يأبى إلا أن يبقى عليه، فهو من أهل الأهواء والبدع.

ألا أيها الفضلاء والفضليات إن الخير كله، وإن العز كله في لزوم كتاب الله، ولزوم سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأحبوا سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والزموا سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بجميع معانيها، واحذروا ما يقابلها وما يضادها، لعلكم تفلحون.

هذا مختصر ما تم إعداده، وما تيسر في الوقت إيراده، وأقف عند هذه النقطة؛ لأن عندي موعدًا قبل الصلاة.

فأسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعلني وإياكم ممن عظم السنة وفهمها، وعظمها ولزمها، وحافظ على أصول أهل السنة.

أسأل الله -عزَّ وجلَّ- بأسمائه الحسنى وبصفاته العلى أن يجعلنا ممن يحبون النبي -صلى الله عليه وسلم- حقًا وصدقًا، ويقودهم ذلك إلى الحرص على اتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- في كل شيء.

أسأل رب -سبحانه- أن يهدي ضال المسلمين، وأن يرد من ضل إلى السنة إلى التوحيد ردًا جميلًا حسنًا.

أسأل الله -عزَّ وجلَّ- بأسمائه الحسنى، وبصفاته العلى الذي امتن علينا بسكنى المدينة أن يمتن علينا بالثبات على السنة، وأن يحيينا في المدينة، وأن يميتنا في المدينة، وأن يبعثنا ثابتين على السنة من مدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ أَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ